

الفضاء الذى استراحة فيه العلاقات لحركتها فأخذت تتكرر بانتظام. ولكن ثمة أسئلة تبقى مطروحة منها: بأى كيفية تتحرك البنيتان فى النص؟ هل من منطق يعلل حركتهما؟ وهل هى حركة محكومة بنظام؟

يعمد النص القرآنى إلى تصريف المسالك الأدائية فيجمع بين السجع والترسل، لكن السجع يمثل القاعدة، بينما يمثل الترسل العدول. فكيف يقوم العدول عن المؤلفات إلى المخالفة بتشكيل أسلوبية النص وخدمته جماليا ودلاليا؟ إننا لا نستطيع أن نفهم دلالة التخلّى عن السجع لصالح الترسل إلا فى نطاق النص ككل، والنظر. فى النص القرآنى يشير إلى أنه قد اكتفى فى بعض مواضعه بتوظيف إحدى البنيتين، وفى مواضع أخرى كان يضافر بينهما. يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ، وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ، قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾^(١)

هذه الآيات تمثل وحدة دلالية واحدة لكن الروى لم يأت ممتاثلا فالآية الأولى مختومة بحرف "الجيم" بينما تنتهى بقية آيات الوحدة بحرف "الدال"، ومبررات المخالفة الصوتية بين نهايات الفواصل لا تظهر إلا بوضعها فى علاقة مع السياق الذى يبرز لاختلافات دلالية دقيقة بين القسم فى الآية الأولى والقسم فى الآيات التالية، فالواقع أن المشاهد المقسم بها تنتمى إلى حلقات زمنية متباعدة، فالسماة ذات البروج مشهد يطالعنا فى الحلقة الزمنية الأولى "زمن الحياة الدنيا" بينما يتصل اليوم الموعود، وشاهد ومشهود" بالحلقة الزمنية التى يمكن أن نعتبرها حلقة ثالثة بعد الموت، وهى حلقة الحياة الآخرة، ومن ثم يمكن اعتبار الأذن مدخلا أساسيا من مداخل تأمل الفروق الدلالية الدقيقة فى التعبير القرآنى.

وهذا الدرب من توظيف التقارب الصوتى داخل الوحدة الدلالية الواحدة -لا بعد غريبًا على معمار السجع العربى، فقد أورد القالى فى كتابه "الأمالى" حديثًا لمصاعب بن مزعور وخروجه فى طلب الذود، وما أخبره به الجوارى الأربع الطوارق بالحصى، ويعننا فى هذا الموضع، مقولة الجارية الرابعة: إذ تقول: "ليهبط الغائط الأفيح، ثم ليظهر الملا للصخصح، بين سدير وأملح؛ فهناك الذود"

(١) سورة البروج: ١-٧.